إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة **يناير ٢٠٢١ م**

سمات التواضع

أختي العزيزة في المسيح

أعطت إحدى صديقاتي مؤخراً محاضرة عن التواضع فتحت عينيّ حقاً على طرق جديدة للاقتراب منه. أشاركك إياها يا أختي العزيزة على أمل أنه ، من خلال المشاركة، أتشبع بها أكثر وأتعلم الدرس بشكل أفضل.

لقد قيل أن التواضع هو أم جميع الفضائل الأخرى، لكنه بالتأكيد لا يأتي بسهولة. التواضع بالنسبة لي هو درس مدى الحياة وهو ما أجاهد معه في كثير من الأحيان.

إنه لأمر خادع فبمجرد أن تشعرين أنكِ وجدته، فإنك تعودين للكبرياء مرة أخرى.

لقد كنت أفكر في مثل من الرجل الجاهل والرجل الحكيم. واحد يبني منزله على الرمال، والآخر يبني منزله على الصخر. يخبرنا المسيح أن الذي يبني بيته على الصخر هو الذي يسمع وصاياه ويطيعها.

دعونا نصور الرجل الجاهل على أنه الشخص الذي يبني بيته على نفسه – على موهبته وقدراته – على كبريائه وغروره. والرجل الحكيم هو الذي يبني بيته على التواضع. يا له من فرق بين الاثنين! يا له من انهيار أرضي كارثي بالنسبة للسابق عندما تأتي الأمطار!

مع هذه الصورة في الاعتبار – بيوتنا مبنية على أساس ثابت من التواضع – إليكِ أربعة سمات للتواضع.

كل شيء يأتي من الله

السمة الأولى والأكثر أهمية هي أن نتذكر دائماً أن كل شيء يأتي من الله. دعونا نذكر أنفسنا أن كل ما لدينا يأتي من الضابط الكل. إنه الله الذي يباركنا، الذي يعطي أي نوع من السلطة أو النجاح أو الازدهار، والذي يعطي النمو في خدمتنا.

في كل ما نقوم به، سواء في الخدمة أو العمل، بركات في عائلتنا أو في مجتمعنا، يجب أن نتذكر أن الله هو الذي يسبب ازدهار الجهود في توقيته الخاص وعلى طريقته الخاصة.

لقد واجه القديس بولس هذه المسألة عندما كتب إلى أهل كورنثوس قائلاً: "فمن هو بولس، ومن هو أبولوس؟ بل خادمان آمنتم بواسطتهما وكما أعطى الرب لكل واحد" لقد ذكر الناس أن كل الخدام أدوا دورهم ولكن الله هو الذي حرك القلوب: "أنا غرست وأبولوس سقى لكن الله كان ينمي" (١كو٣: ٥-٦).

نحن لا شيء في أنفسنا، وتذكر الله أولاً وفي قلب كل نجاحنا يبقينا متواضعين: "إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي بل الله الذي ينمي" (١كو٣:٧).

نحن ممتنون جداً لأننا نخدم الضابط الكل، الله القدير. تقديم الشكر له في كل شيء يعلم قلوبنا أن نكون متواضعين فيما نملكه ونحققه. إذا أُعطينا منصب أو أي نوع من السلطة، نذكر أنفسنا بأن الله هو الذي يعطي السلطة:"لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله" (رو١٣:١). إن رئيسنا – الذي في ظل إرادته ومسرته نعمل ونخدم ونعيش – هو الرب نفسه.

إن نسيان أن الله هو مصدر كل الخير في حياتنا يمكن أن يؤدي بسهولة إلى تدمير المنازل المبنية على رمال الفخر.

ثقتنا في المسيح

ولكي تكون لدينا الشجاعة لاتخاذ إجراءات جيدة، يجب أن يكون لدينا قدر من الثقة. نحن مباركون كأبناء الله لكون ثقتنا ليست في أنفسنا. بل بدلاً من ذلك، ثقتنا هي في مخلصنا.

نحن نتصرف، دون نؤمن بأنفسنا، بل نؤمن بالذي يخلصنا ويدعمنا. نحن نقوم بالعناية الواجبة، ونكمل المهام المحددة أمامنا بكل إخلاص، ثم نثق به أنه يتدخل بأفضل طريقة لدبه.

يقول القديس بولس: "لا أفتخر إلا بضعفاتي" (٢كو ١٢: ٥) وأيضاً: "حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح" (غل ٦: ١٤).

دعوتنا هي إلى "كل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة" (أفسس ٤: ٢). إذ نأخذ ذلك في الاعتبار، نعمل بإخلاص وبتواضع، واثقين في يسوع المسيح أنه سيستخدم هذا العمل من أجل مقاصده العظمى.

تخيلي لو أن ثقتنا تأتي فقط من أنفسنا. كم مرة في اليوم نفشل نحن أنفسنا! لكن البيت المبني على ثقة الله لا يمكن أن يهتز. الله غير متزعزع ولا يتغير.

يجب ترويض اللسان

أوه، هذا الأمر صعب، وخاصة بالنسبة لشخصية مثلي اعتادت على الرد الفكاهي الساخر. ولكن لا يوجد تواضع إذا لم يتم ترويض اللسان. يجب أن نكون قادرين على إسكات أنفسنا من أجل الاستماع إلى الآخرين حقاً.

هل تعلمين أن كلمتا الصمت والاستماع (في اللغة الإنجليزية) هي جناس – تتكون من نفس الحروف؟ إنهما وجهان لعملة واحدة.

يصف القديس يعقوب اللسان على أنه الدفة لكل سفينة وجودنا. الشخص التي تسيطر على لسانها تستطيع السيطرة على جسدها كله، والتي لا تستطيع السيطرة على لسانها تستطيع أن تتسبب في حرق غابة كاملة (يع ٣: ٢-٦).

إنها بركة لنا أن القديس يعقوب لا يدَّعي أن هذه مهمة سهلة. ويشير إلى أنه على الرغم من أن البشرية قد روضت كل مخلوق، ما زلنا جميعا نكافح للسيطرة على ألسنتنا. "أما اللسان فلا يستطيع أحد من الناس أن يذلله. هو شر لا يُضبَط مملوء سماً مميتاً" (يع ٣: ٨). ومع ذلك، هذه هي مهمتنا بالضبط إذا أردنا أن نعيش حياة من التواضع.

نحن نعرف جيداً كيف، على الرغم من تعرضه لهجوم شرس، امتنع البابا كيرلس السادس عن رد الضربات بكلماته الخاصة. كم تطلب ذلك الأمر من ضبط النفس والثقة في الله، والتواضع قبل كل شيء!

مع كلمة أو عبارة أو محادثة مختارة بشكل سيئ ، يمكن أن ينهار منزل. عندما تقال الكلمات يكون من الصعب جداً استردادها. الكلمات التي توزن بعناية — بل والأفضل من ذلك، الصمت المختار بعناية – هي علامة على شخص يجاهد من أجل التواضع.

المتواضعون هم صانعو سلام حكماء

يقول المسيح في العظة على الجبل: "طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون" (مت ٥: ٩).

المتواضعون هم صانعو السلام. إنهم لا يثيرون متاعب غير مجدية للآخرين ولا ينفخون في نيران الكراهية أو الشقاق. ولأنهم قادرون على الحفاظ على فحص ذواتهم، فإنهم يستطيعون جلب العديد من وجهات النظر إلى طاولة واحدة، ويمكنهم خلق حل وسط وانسجام حيث لم يكن من قبل.

"الجواب اللين يصرف الغضب" (أم ١٥: ١) ويمكن للمتواضعين العثور على تلك الكلمات الرقيقة التي تعيد السلام في المواقف الصعبة والمتوترة.

إن نوع الحكمة المطلوبة لتكون صانع سلام لا يمكن أن تأتي إلا من الله، والطلبة لا يمكن إلا أن تأتي بتواضع.

يقول لنا القديس يعقوب: "وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له" (يع ١: ٥)

التصرف بحكمة وكصناع سلام يمكننا من الاقتراب من هذا النوع من التواضع الذي يرفعنا لنرى وجه الله.

فلنكن مثل الرجل الحكيم الذي يبني منزله على الصخر. إذا بنينا بيتنا على التواضع – متذكرين الله كمصدر لكل شيء، وواضعين ثقتنا في المسيح، ومروضين ألسنتنا، وساعين إلى العمل كصانعي سلام حكماء – يمكننا أن نشعر بالاطمئنان على صلابة الأساس الذي وضعناه. إنه أساس يعتمد كلياً على الله، ويعمل على ضبط النفس والانضباط في أنفسنا.

أختك في المسيح

بني – بني